

قولهم « ما يلي » بلا مفعول

للاستاذ صبحي البصام

يرى العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله أن قولهم « ما يلي » بغير مفعول لـ « يلي » خطأ ، لأن ولي عنده من الأفعال التي لا تستغني عن مفاعيلها . (فلسفة النحو والصرف ١٣٦ - ١٣٧) . وكان ذكر رؤية هذا في انتقاده على بعضهم قوله « ما يلي » تسهيذا لعدد أمور . واتفق أن سأله عن مفعول هذا الفعل الذي يرى إثباته . فقال : كأن يقال : ما يلي السطر أو ما يلي العبارة . وكان ذلك قبيل وفاته . وهو في علته الغليظة التي أودت به ، فلم أشأ أن أذكره الأمر . ثم ذكرت رأيه هذا في مقالة نشرت لي في هذه المجلة عنوانها « عود إلى معنى تصويب الخطأ » (١) ، وقلت فيه : « وفيه نظر » . ولم يكن سياق المقالة يقتضي بسط الكلام فيه ، وهذا كلامي فيه مبسوطا :

« ما يلي » المصرية :

فشأن في العصر الحديث قولهم « ما يلي » تسهيذا لعدد أمور أو لشرح شيء ، كأن يقال : لانقراض الدولة سبعة أسباب وهي كما يلي : ، أو : وهي فيما يلي : ، ويعقب ذلك عد الأسباب ، والأغلب في « ما يلي » هذه أن تكون زائدة ، لأن الكلام يتم بحذفها ، والوجه أن يقال : لانقراض الدولة سبعة أسباب ، ويشرع في ذكرها ، وكنت

(١) (المجلد ٥٥ ج ٤) . وقلت فيها (ص ٨٥٩ س ١٥) : « علق نفسي ذهنه » والوجه « علق بذهنه » . وقد عدى اللحياني هذا الفعل في بعض كلامه بـ « في » . وجاء فيها (الصفحة نفسها س ١٧) : « أو ينهى الإنابة » وهو غلط مطبعي صوابه « أو ينهى الإنابة إلى الحق » .

أوردت شاهدين على ذلك في «فالتى المذكورة في هذه المجلة» أو أن يقال : لانقراض الدولة سبعة أسباب وهي : « ويؤخذ في بيانها » قال حنزة بن الحسن الاصفهاني في كتابه سني ملوك الارض والانبيا (ص ٩٣) : « وتواريخ المعدين من عرب الجاهليين والاسلام ينقسم على عشرة مراتب وهي : « وجعل بعدها وشرحها » أو أن يقال : لانقراض الدولة سبعة أسباب منها : « والمألوف أن يتلو « منها : « عد الاسباب جميعا » جاء في الحيوان (١ / ١٠١) : « لا بد أن يكون لكل كتاب علم وضعه أحد من الحكماء ثمانية أوجه : منها : الهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنف ، والتأليف ، والاسناد ، والتدبير » . وقال ابن جنبي في المنصف (١ / ٣١٥) : « أعلم أن هذه الأمثلة تنقسم على ثلاثة أضرب ، منها : « وعد الأضرب الثلاثة مع شرحها ، هذا ونحوه هو الكلام التوضيح القديم ، وهو خال من « ما يلي » الداخلة في لغتنا بالترجمة الحرفية عن بعض اللغات الاجنبية . وقد بلغ من فسوق قولهم « ما يلي » تمهيدا لعدد أمور ، أو لشرح شيء ، أن ظهرت في كتابة كبار الادباء بلا ترجمة وفيهم جماعة من فضلاء أهل اللغة ، حتى لكان ذلك لئق بهم لزوقا ، فسالهم عنه محيد ، ولا منه مستحاض ، وأظن أن الرأي هو الرضا باستعمال هذه العبارة اضطرارا . على أن يُعرّف أصلها الغريب ، على أن الدكتور مصطفى جواد أنكر منها عدم تعدية « يلي » الى مفعوله ، ولم يقل ان أصلها من الترجمة الحرفية ، وذلك منه يجزني الى مطلب خاص بفعول « يلي » ، وأظن أن قول الدكتور مصطفى جواد بخطأ « مايلي » اذا لم يعد الفعل الى مفعوله قد جاءه من كثرة ما وقع له من « مايلي » ونحوها في منظوم القدامى ومنشورهم ، وبعدها مفعول الفعل ، كقول عسر بن أبي ربيعة (الديوان ص ٣٧٤) :

أرى ما يلي نجداً اذا ما حككته
جميلاً وأهوى الغور ان تتهموا

وقول أحمد بن دواد في الاخبار الطوال (ص ٢٧٩) : « فلحقهم
بقرية من الاهواز تدعى آسك ما يلي فارس » ، وقول ابن قتيبة
في الأنواء من مواسم العرب (ص ١٤٩) : « ما يلي الجدي » ، وقول
الأزهري في تهذيب اللغة (عق ١/٥٩) : « وهو واد واسع ما يلي
العركمة » ، وقول عمرو بن كلثوم في مطولته « .. على الأحفاض نسع
من يلينا » .. على أن رأيه هذا يقتضيه سؤال هو : فيم تفتعل مفعولا
لعبارة هي في أصلها الاجنبي بلا مفعول ؟ ثم ان رأيه يندفع من ثلاثة
أوجه : الاول أن العرب استعملت « ولي » قديما مستغنيا عن
مفعوله ، والثاني امكان تقدير مفعول لـ « يلي » المترجم ، والثالث
جواز عد هذا المترجم فعلا لازما .

استغناء « ولي » عن مفعوله :

أما استعمال « ولي » مستغنيا عن مفعوله ، ففي الإمامة
والسياسة (١ / ٧١) أن عقيل بن أبي طالب قال لمعاوية : « .. فرغم
أنه ليس له ما يلي الا عطاؤه » ، والتقدير : ما يليه . وفي مروج
الذهب (٣ / ٣٤٣) قال موسى الهادي لأمه : « أنا هالك هذه الليلة ،
وفيها يلي أخي هارون » ، والتقدير : يلي الخلافة . وقال المعجاج
(الديوان / ٢٠٥) :

وصاح منها في توالي ما تلي ضياء فجر كالضرام المشعل

وقال كعب بن مالك (سيرة ابن هشام ق ١٧٣/٣) :

أبلغ قریشا على نأيها أتفخر منا بما لم تلي

و « تلي » بالياء ، هكذا رواه ابن هشام في السيرة عن أبي

زيد الأنصاري * ومن شاء نظر في البيان والنبين (١٩٣/٢) ، وتاريخ
الظبيري (٦ : ١٣٧) ، وكليلة ودمثة (باب الأسد والشعير : بولات
/ ١٩١) ، والوزراء والكتاب (ص ٢٧٦) * .

تقدير مفعول « ما يلي » المترجمة :

وأما المفعول في قولهم « ما يلي » التي دخلت في لغتنا من الترجمة
فيصح أن يكون تقديره « السطر » أو « العبارة » أو « كلامي » * .
وحذف المفعول في العربية كثير ، طلباً للإيجاز ، وقصدًا في البلاغة ،
ومرعاةً لمراسل النثر ، وتقيداً بأوزان الشعر وقوافيه * وقد أوردت
شواهد على حذف مفعول « ولي » وهذه شواهد على حذف مفعولات
لغيره * قال الله تعالى : « الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله »
(النساء / ١٤٦) فأصلحوا استغنى عن مفعوله والتقدير عند
الزمخشري في الكشاف : « ما أفيدوا من أسرارهم » * وجاء في
مختار الحكيم (ص ٦٠٧) : « قَطَعَ عليهم اللصوص » ، والتقدير :
الطريق * وفي الفسارات (١ / ٤٦٤) جاء في بعضهم ، وكان تركه
عليها واحق بغاوية : « وبعث علي الى داره فيدمها » ، والتقدير :
وبعث رجلاً * وفي سيرة أحمد بن طولون (ص ٢٩٧) جاء في
آخر كتاب : « وكتب عبيد الله بن محمد القاضي بخطه » .
والتقدير : وكتبه * فهذه الأفعال وغيرها كثير تخضع في الاستغناء عن
مفاعيلها لحكم الاستعمال ، ولا يُقال هذه يجوز الاستغناء عن مفاعيلها
وهذه لا يجوز * ومع ضعف السلائق العربية في عصرنا هذا ، نجد
الخاصة والعامّة يفهون « يلي » المترجم فهماً صافياً غير مكدر بافتقار
مفعوله ، وذلك على نحو فهمهم المقولة العامية « فلان يشرب » (٢) ،

(٢) هي عبارة غلبت على كلام العامة عندنا في العراق ،
واستعملت قديماً في الفصح ، جاء في كتاب الأذكىء لابن الجوزي
(ص ١٤٤) : « يحكى أن رجلاً كان يشرب ليلة الجمعة فنهاه بعض
العوام وجاء في تمام الحكايسة « ... ولم يرجع بعد الى شرب الخمر » .

فإنهم يدركون في الحال أن المراد أنه يشرب الخمر ، ولا يذهب وهم أحد منهم إلى أن المراد أنه يشرب الماء أو اللبن أو البين ، ولا يخطر بباله التعبير النحوي « المفعول به محذوف » . ولو طلب السامع المترجمين أن يضيفوا إلى « يلي » مفعوله المقدر ليقولوا « يلي السطر » أو « يلي العبارة » أو « يلي كلامي هذا » . مع عدمه في النص المترجم ، لكان المطلوب كأنه إضافة شيء إلى شيء من عدم ، أو تفخ على حطب في غير حرم ، ولظهر هذا المفعول في ترجمتهم كالاصبع الزائدة في الكف . ولو شئنا من بعد ترجمته إلى لغته الأصلية أو لغة قريبة منها ، لم نجد له ما يشاكله .

عد « يلي » المترجم لازما :

ويجوز أن تعد « يلي » المترجم فعلا لازما ، وذلك لامتراد استعماله بلا مفعول ، من غير أن يدور في خلد أحد أن يقدر له مفعولا . وقد جاء قديما هذا الفعل لازما بلا ترجمة ، كتقول الحريري في المقامة التفاضلية : « ولقد كنتُ وألله ممن ملكك ومال ، وولي وآل » . قال فيه التريشي في شرحه على المقامات (١٥٧/٢) : « ولي صار واليا » . فجعله في حكم الفعل اللازم ولم يقدر له مفعولا . ونظير قول الحريري قول جمان الدين بن عبد الله المعروف بحافي رأسه (فوات الوفيات (٤٥٦/٢) :

مأذر قاضي الهوى العذري حين ولسي

لو كان في حكمه يقضي عليّ ولسي

وما جاء في فتح الضيب (٣٥٤/١) وهو : « وأراد بأول الآيات أنه ولي مستهل ربيع الاوّل » . وكثير من الأفعال المتعدية كثر حذف مفاعيلها في مواضع فعُدَّت في تلك المواضع من الأفعال اللازمة . فسن

ذلك « فَصَلَ » ، كقوله عزّ وجلّ « فلما فصل طالوت بالجنود » (البقرة / ٢٤٩) ، وأصله : فصل نفسه ، ثم كثر حذف مفعول حتى صار في حكم اللازم كالفصل . ومنه « صَبَرَ » : كقوله تيسارك اسمه « واصبر على ما أصابك » (لقمان / ١٧) ، فاصبر ها هنا فعل لازم ، وهو في الأصل متعد غلب عليه حذف مفعوله ، فأثرت منسزة اللازم . وقد يجيء متعديا بحسب أصله ، كقوله جل ثناؤه : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم » (الكهف / ٢٨) ، و « شق » فسي قولهم « شقّ الثوب » : أي علّق ، والأصل فيه « شقّ الثوب اللثة » ، ولكثرة استعماله حذف مفعوله ، ثم صار لازما . قال بعض القيسيين (الحيوان ٦ / ٣٣٩) :

وما يتخطى الفحل زيد بيئته

ولا العرّميس الوجناء قد شقّ ثابها

وعلى الجملة : يجوز أن يستغني « ولي » عن مفعوله ، فيقدر له مفعول في مواضع ، ويعد لازما في مواضع ، ولاوجه لان يضيف اليه مضيف مفعولا من كيسه حين يجيء مترجما عن لغة أجنبية بصورة « ما يلي » ، وذلك تمهيدا لعد أمور ، أو لشرح شيء ، لعدم المفعول في النص المترجم . وما قال به الدكتور مصطفى جواد بخلاف ذلك تأباه النصوص القديمة ، واستعمال « ما يلي » بلا ترجمة ، تمهيدا لعد أمور ، أو لشرح شيء ، انما هو من أساليب هذا العصر التسي دخلت في لفتنا عن طريق الترجمة .

وأنا بانتقادي على الدكتور مصطفى جواد رحمه الله رأيا له لست أغض عليه عليه ، وأشهد أنه اللغوي المقتدر ، أتى اللغة وهي

في عناء مئسّر^٣ . قد غكث سيئها ، وورث تجديدها ، وأخذ أعدادها بكظامها ،
فتشر لنصرتها ، وتجرد لحياتها . كسائر الفضلاء من أهل اللغسة
العصرين^(٣) ، فبلغ من ذلك مبلغاً حبيداً ، واحتاز مكاناً مكيناً ،
ولكنه ألف كتابه « فلسفة النحو والصرف » الذي أورد فيه رأيه في
« ما يلي » ، وقد نالت منه العلة منلاً ، فاختلف بدرءه المتخبشي من
المختلّب ، والكمال لله تعالى وحده .

لندن : صبحي البصام

(٣) ممن عاصره من أهل موطنه العراق من اللغويين : محمود
شكري الألوسي ، وهو أجهلهم وأسنهم ، والاب أنستاس الكرمليني ،
وطه الراوي ، رحميم الله ، ومحمد بهجة الأثري أطال الله
بقيامه .